تحقيق الاجتماع والتحذير من التحزب والافتراق

أد. عبدالمحسن بن محمد الريس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد عزمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة على عقد مؤتمر بعنوان: " واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف " وطلبت من الكليات حث منسوبيها واستكتابهم في موضوع المؤتمر ومحاوره، وقد رُشّحت لذلك من قبل كلية الشريعة بالرياض، وأنا أشكرهم على حسن ظنهم، وإنه لشرف لي أن أشارك في هذا المؤتمر، واسأل الله عز وجل أن ينفع به، وأن يجعل فيما أكتبه النفع والفائدة لي ولإخواني المسلمين في الدنيا والآخرة.

وهذا البحث قد دونت فيه ما هداني الله عز وجل لجمعه في موضوع مهم، الحاجة له ماسة في هذا الوقت بالذات، مساهمة مني في اثراء هذا الموضوع لتجليته، وتقريب معانيه الشرعية لأفهام الناس، في وقت التبس الأمر فيه على كثير من أفراد الأمة، ومساهمة لتحقيق أهداف هذا المؤتمر، وتوعية المجتمع السعودي وحمايته من التحزب والجماعات المنحرفة والأفكار الضالة، ولتعزيز دور الجامعات في توعية الشباب السعودي وحمايته من الانحراف الفكري، والأفكار الضالة التي تُروج لها الجماعات والأحزاب المنحرفة.

وحيث قد وُجدت تلك التحزبات في الأمة؛ منها العلني ومنها السري، ومنها ما يرفع شعار الدين، ومنها ما يرفع شعار الوطنية، ومنها ما يرفع شعار القومية، ومنها ما يرفع شعار العلمانية، وكانت هذه التحزبات طارئة على المجتمعات الإسلامية، حيث وجدت أول ما وجدت في المجتمعات الغربية تطبيقاً لما يُسمونها: الديموقراطية، وإن من نعم الله عز وجل على هذه الأمة أن هيأ لها علماء مخلصين، حفظوا دينها، وأرسوا قواعد شريعتها ودرسوا أحكامها، ورسموا معالم نجاتها، وبذلوا وسعهم في سبيل ما يضمن للبشرية السعادة في الدارين، وقاموا بجهود مباركة لتجلية تلك المناهج والتحزبات ونقدها نقداً علمياً، ولا يزال الميدان بحاجة للمزيد، وإن هذا المؤتمر هو أحد تلك الجهود المباركة.

وقد رغبت المساهمة في تجلية موضوع المؤتمر وتمحيصه، فأعددت هذا البحث

المتواضع، وجعلته بعنوان: " تحقيق الاجتماع والتحذير من التحزب والافتراق " وقسمته إلى: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

- المقدمة اشتملت على:

أ – الاستهلال بما يناسب، ومدخل للموضوع.

ب – خطة البحث.

ج – منهج كتابة البحث.

- التمهيد: أهمية الموضوع والتعريف به.
- المبحث الأول: أسباب نشأة التحزبات ومبرراته.
- المبحث الثاني: منشأ غلط أهل التحزب، واغترار العامة بهم.
- المبحث الثالث: مسوغات الحزبيين ومستنداتهم.
- المبحث الرابع: مساوئ التحزب وأضراره.
- المبحث الخامس: موقف العلماء الربانيين من الجماعات الإسلامية.
- المبحث السادس: آثار ونتائج التحزب في المجتمعات المسلمة.

الخاتمة: خلاصة البحث وأهم النتائج.

منهج كتابة البحث:

سرت في كتابة هذا البحث على المنهج المعتمد في إعداد البحوث الأكاديمية، وتتلخص معالمه في النقاط التالية:

١- الاستقصاء في جمع المادة العلمية، والبحث عنها في مظانها قدر الإمكان.

٢- عرض كلام أهل العلم في موضوع البحث، وتوثيق ذلك من كتبهم أو كتب أصحابهم.

٣- صياغة المادة العلمية لموضوع البحث بأسلوب واضح وعبارة موجزة، مع الدقة في تحديد الفكرة المرادة.

٤- استقصاء الأدلة والتعليلات التي تساق مساق الأدلة عند عرض المواقف المختلفة، والمناقشات الواردة عليها.

٥- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٦- تخريج الأحاديث الواردة في البحث؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، وإلا خرّجته من مصدره، ونقلت حكم أئمة التخريج عليه، صحة أو ضعفا.

٧- المعلومات المتعلقة بالمراجع (الناشر، ورقم الطبعة، ومكانها، وتاريخها) أكتفي بذكرها في قائمة المراجع.

٨- وضع فهرس لموضوعات البحث.

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به، ويجعله لبنة في البناء المعرفي لنشر الفهم الصحيح للدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد
أهمية الموضوع والتعريف به

بعث الله رسوله ﷺ والجزيرة العربية تموج بأنواع القوميات والعصبيات؛ فكل قبيلة تقدم ولاءها وتحصر انتماءها وتخص بنصرتها أفراد تلك القبيلة؛ حتى قال قائلهم:

وهل أنا إلا مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ** غَوَيْتُ وإنْ تُرْشَدْ غَزِيَةُ أُرْشَدِ[1]

يؤيد بعضهم بعضاً على ما يريد؛ سواء كان حقاً أو باطلاً، وينصر بعضهم بعضاً فيما يهوى سواء كان محقاً أو مبطلاً، فلما جاء الإسلام أمر بالوحدة والالتئام ومنع التفرق والانقسام؛ لأن التفرق والانقسام يؤدي إلى التصدع والانفصام، لذلك فهو يرفض التحزب والانشطار في كيان هذه الأمة التي تدين لربها بالوحدانية ولنبيها بالمتابعة.

" الحزب لغة: صنف من الناس تجمعهم صفة جامعة أو مصلحة شاملة من رابطة العقيدة والإيمان أو الكفر والفسق والعصيان، أو رابطة الأرض والوطن، أو القبيلة والنسب، أو المهنة واللغة، أو ما يشاكلها من الروابط والأوصاف والمصالح التي اعتاد الناس أن يجتمعوا عليها ويتكتلوا حولها"[2].

والحزبية معناها أن تتعصب لشيخ أو اسم أو شارة أو جماعة، وهذه مذمومة في الإسلام، فالأصل في المسلم أن لا يتعصب لأحد، والأصل فيه أن لا يعقد سلطان الولاء والبراء والحب والبغض إلا على دين الله، فيزداد حبك لأخيك بازدياد دينه وعبادته وعلمه وأمانته، أما أن يتعلق قلبك بفلان لأنه من حزبك وإن كان قليل الدين، وتبغض آخر لأنه ليس من حزبك، وإن كان عالماً أو صاحب دين فهذا تحزب مذموم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (ت ٧٢٨ هـ): " ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي عليه الصلاة والسلام، ولا ينصب لهم

---

(١) انظر ديوان دريد بن الصمه: ٧٩، هذا البيت للشاعر والفارس دريد بن الصمة من قصيدة يرثي فيه أخاه.

(٢) الأحزاب السياسية في الإسلام للمبارك فوري (ص ٧).

كلاما يوالى عليه ويعادى غير كلام الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"(1).

ولقد نبتت في بلاد المسلمين نابتة سوء، ترجع بأصولها إلى ابتداع وتقليد للأوضاع السياسية التي نشأت في المجتمعات الغربية بعد الثورة ضد الكنيسة في أوربا؛ فوجب تحذير المسلمين من ذلك؛ وحتى يتمكن المبصر – لحقائق الأشياء – التمييز بين الخطأ المغفور لصاحبه، الذي هو من قبيل الاجتهاد السائغ، وبين الأخطاء المغلظة التي ترجع بأصولها إلى أهل البدع والأهواء؛ خاصة فيما يتعلق ببدعة تفريق الأمة وتحزيبها، وتكفير المسلمين، واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم وديارهم.

هذا التمييز – حتى يتحقق هدفه – لا بد أن يؤسس ويؤصَّل على فهم علميّ للكتاب والسنة فهمه الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون لهم بإحسان، وطبقوه في واقعهم.

ولا سبيل لتحقيق رؤية صحيحة في هذا الميدان إلا بالنظر في الموروث العلمي لعلماء أهل السنة وأئمتهم، لا سيما أن الدواعي لمثل هذا الطرح قائمة، وآثاره خطيرة، فالمقصود الوقوف على السمات الخاصة التي تتعلق بواقع تلك التحزّبات، ومحاولة معالجتها.

فإن قيام تلك التحزبات ومفارقتهم للعامة من المسلمين بالانتماء لتلك الأحزاب والاصطفاف تحتها مخالف للسنة، ويؤدي للوازم باطلة فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم، ومن تلك اللوازم بغضهم للمسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

- **وكانت لهم خاصيتان مشهورتان؛ يبين بهما مفارقتهم للجماعة:**

إحداهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، و ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهره أسلافهم المتحزبون الأولون في وجه النبي ﷺ؛ حيث قال له ذو الخويصرة: اعدل؛ فإنك لم تعدل، قال له النبي ﷺ: " ويلك ! ومن يعدل إذا لم

---

(1) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٦٤).

أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل ".... الحديث"[1].

الثانية: أنهم يُكفّرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب: استحلال دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان.

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ما يتولد عن هذين الأصلين الخبيثين، فقال: " ينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

وهذا الأصلان هما خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرّعته؛ فهو مبتدع خارج عن السنة، ومن كفّر المسلمين بما رآه ذنباً، سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً، وعاملهم معاملة الكفار؛ فهو مفارق للجماعة، وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين " أ هـ[2].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٦١٠)، ومسلم (رقم ١٠٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ٧٢-٧٣).

المبحث الأول
أسباب نشأة التحزبات ومبرراته

لقد كان لنشأة هذه التحزبات في بلاد المسلمين الخطورة البالغة والفساد العريض؛ سواء كانت أحزاب إسلامية أو غير إسلامية؛ يسارية أو علمانية أو قومية أوطنية، وإن فكرة الأحزاب الإسلامية وغير الإسلامية مرتبط بنشأة الحزب السياسي في العالم الغربي؛ حيث إن الديمقراطية حين قامت في المجتمعات الغربية قامت على فكرة الحرية المطلقة، فأي انسان من حقه أن يعتقد أي فكرة، ويُنشأ لها حزباً يدعو لهذه الفكرة، ويجمع أنصاره، ويسعى للوصول إلى السلطة ليقيم هذا المبدأ في الناس، وأطلقوا له الحرية بهذه الصورة.

فكلمة: " الحزب السياسي " تعني الحزب الذي يسعى للوصول للسلطة، ويسعى لتقرير وفرض منهجه، أو تقييمه وتصوره و فلسفته في الحياة، ويقيمها في الناس.

وكان مما علّل به أهل التحزب لقيام هذه الأحزاب الإسلامية عدة أمور:

- الأمر الأول: أن التحزب والتنظيم يوقف الحاكم عند حده، ولا يُمكّنه من التّغول في حقوق الناس، ويحجزه أن يستأثر بالثروة والسلطة هو وحاشيته، دون غيرهم من سائر الناس، ويمنعه من أن يكون حاكماً دكتاتورياً.

وهذه شبهة يمكن أن يجاب عنها بأن أجهزة الحسبة والرقابة والشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة العلماء له؛ كل ذلك من وسائل منعه من التغول والدكتاتورية.

ثم إن الحاكم رجل مسلم يعلم أنه سيحاسب أمام الله على تقصيره في حق رعيته، وهضمه لحقوقهم، فاذا قصّر فإن الله سيحاسبه.

- الأمر الثاني: قالوا: إن العلمانيين والليبراليين واليساريين قد شكّلوا تنظيمات وتحزبات كان لها نفوذاً في المجتمع، وأدى ذلك إلى دفع المجتمع إلى التغريب؛ لأن العمل المنظم يؤدى لنتائج راسخة ولو على المدى البعيد.

ومؤسسة العلماء لوحدها لم تستطع أن تقوم بالدور الكافي لمنع هذا التغريب، فكان لا

بد من قيام تنظيمات إسلامية لمواجهة هذا العمل المنظم، وإيقاف هذا التغريب للمجتمع.

وهذه شبهة أخرى يمكن دفعها بأن قيام تنظيمات سرية في مجتمع يمنع فيه الحاكم هذه التنظيمات يعد خيانة وافتئاتاً على الحاكم، والحاكم المسلم له حق السمع والطاعة، وهذا عصيان للحاكم، كما أنه يعد خروجاً على الجماعة وتفريقاً للأمة، والمشروع الذي يقوم به المسلم في هذه الحياة الدنيا هو أن يموت على الإسلام والسنة.

وإذا قام الآخرون من علمانيين ويساريين وغيرهم بهذا العمل فليسوا هم قدوة لنا، وهذه البلاد – بحمد الله – تمنع التحزبات من منطلقات شرعية، ومحافظة على قوة الأمة واجتماع الكلمة وتلاحم الصف، والله عز وجل ناصر دينه ومعلي كلمته، وحافظ أولياءه، ولكنكم تستعجلون.

- الأمر الثالث: أن هؤلاء المتحزبين يصفون أولئك الذين يذمون التحزب والافتراق بأنهم فرّقوا الأمة وشتتوا شملها باسم: الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، بل إنهم لا يجتمع منهم اثنان على رأي واحد؛ كما يحلو لبعض المتحزبين أن يصفوهم، وذلك لتنفير الناس عنهم، وتشويه صورتهم، وإظهارهم بمظهر المنافس لهم، والرَّافض للتعاون الشرعي والمفرق لكلمة المسلمين.

وهذه تهمة أخرى يشوهون بها منتقديهم الذين يذمون التحزب والافتراق، ويحذرون أفراد الأمة منهم، وذلك لئلا يسمع الناس كلامهم فيتأثروا بهم.

فيقال لدحض هذه الشبهة: من نحن الذين ننافسكم ؟ ولا نستطيع اللحاق بكم ؟ ولا نقدر على تحشيد الناس مثلكم؛ نحن الأمة، نحن لسنا مثلكم متحزبون، بل نحن منحازون للأمة وملازمون للجماعة بحكّامها وعلمائها وعامتها، نحن جزء منهم لا ننافسهم، لسنا مثلكم منحازون عن الأمة ومفارقون للجماعة، أنتم تحزبتم وانحزتم عن الأمة، ومع الوقت تكوّنت عندكم هذه القناعات التي أبعدتكم عن الأمة وصدق الانتماء لها شيئاً فشيئاً، ويدرك أجهل رجل من أهل الإسلام أن هذا الطريق يؤدي بكم إلى الضلال والشر، ولذا نهى النبي ﷺ عن التحزب.

والاجتماع والتعاون على الدعوة وبث العلم ونشره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما حث عليه الشرع، بشرط أن يتجنبوا مفاسد التحزب والتفرق من الافتئات على حقوق أهل الحل والعقد في نصب الإمام، أو منابذته وتحريض الناس عليه، وتحزيب المجتمع وتوزيع ولائه على الأحزاب، وأخذ البيعات وعهود الطاعات عليهم.

ثم إن الإسلام كما نهى عن الاختلاف والتفرق والتحزب وكل ما يكدر صفو ألفة المسلمين وتماسكهم وتعاضدهم، الذي يكفل لهم وحدة صفهم الداخلي وتضافر القوى والجهود في التصدي للعدو الخارجي الغاشم: شرع لهم تشريعاً يدلهم على مكانة وحدة المسلمين وسدّ الذرائع التي قد تفتّ في عضدهم وتفرّق شملهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان ذلك: " إنهﷺ سنّ الاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية لما في التفريق من خوف تفرق القلوب وتشتت الهمم، ثم إن محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضي إلى ضدّ ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضبط، وكل ذلك شرعٌ لوسائل الألفة ... وزجر عن ذرائع الفرقة "(١).

فالتحزبات كلها شر ومفاسدها وأضرارها على الفرد والأمة أكثر من أن تحصى، سواء كانت تلك التحزبات إسلامية أو وطنية أو قومية أوعلمانية، ومن خلال نشأتها في البلاد الإسلامية يتضح مدى الضرر والفساد الذي أنتجته في الجوانب كافة؛ الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

وهذه الجماعات السياسية الإسلامية تقوّلوا على الله وعلى رسوله ما لم يقله الله ولا قاله رسوله ﷺ، وظنوا أنهم أقدر فهمًا لنصوص الشرع من الصحابة – رضي الله عنهم – يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " هؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون.. ثم يَعُدّون ما يرون أنه ظلم عندهم: كفراً، ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها "(٢).

---

(١) بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية (ص: ٣٧١).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٤٩٧).

كما أن سوء الفهم لمراد الله سبحانه ومراد رسوله ﷺ أصل بدعة التَحَزُب، فهم لم يقصدوا مخالفة الكتاب، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " كانت البدع الأولى مثل (بدعة الخوارج) إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي. قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر، وهو مخلد في النار. ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان: الواحدة: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه؛ فهو كافر. الثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين. واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم "(١).

ومن هنا يتبين وجه الشبه بين الخوارج المتقدمين والخوارج المعاصرين؛ وهذه أبرز الوجوه التي يشتركون فيها:

١ - أنهم قد فارقوا الجماعة بانحيازهم عن الأمة، وتحزبهم تحت شعار الإخوان المسلمين أو غيره.

٢ -أنهم يحتقرون ولاة أمور المسلمين من العلماء والحكام، ويُزهّدون الناس فيهم، ويتهمونهم في تديّنهم وعلمهم وادراكهم للواقع وموالاتهم للكفار ومعاداتهم للمسلمين.

٣ -أنهم يُكفّرون صاحب الكبيرة، ومن ذلك تكفيرهم للحكام المسلمين بدعوى أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، فهم يُقرّون الربا في البنوك وغيره من المعاصي. ..

٤ - أنهم يمارسون الخروج على ولاة الأمر بتحريض الناس وتهييجهم، وتزيين الخروج على الأئمة، وعدم السمع والطاعة لهم، وهؤلاء هم أخبث الخوارج؛ روى أبو داوود (ت ٢٧٥ هـ) في مسائل الإمام أحمد قال " قعد الخوارج هم أخبث الخوارج

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٠-٣١).

"[1] قال ابن حجر – رحمه الله – (ت ٨٥٢ ه) في وصف بعض الخوارج " القعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك "[2].

٥ - أنهم يخرجون على الأئمة تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم يسعون لتغيير المنكر، وتحت شعار الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، فهم يهيجون الناس ويزرعون الأحقاد في قلوب العامة على ولاة الأمر.

٦ - أنهم يصفون هؤلاء الحكام بالظلمة والطغاة الذين استأثروا بالسلطة والثروة، وظلموا عامة الناس وأكلوا حقوقهم.

٧ - أنهم يقومون بمقاومة الأئمة والحكام غيرة للدين، وانتصاراً للمسلمين الذين قد تسلط عليهم هؤلاء الطغاة والظلمة.

٨- أنهم يمارسون الخروج على الحكام بالقتال والعنف، والتفجير والتقتيل، فقد خرج من تحت عباءتهم تنظيم القاعدة، فهم يُروّجون لأفكاره ويدافعون عنه في مجالسهم ومنتدياتهم.

ولعل من أخطرها مشاركتهم للخوارج في الخروج على الحكام وشق عصا الطاعة، ومفارقة الجماعة، وتكفير الحكام والمجتمعات، واستباحة الدماء، أو التحريض على ذلك، فيجب أن يعاملوا معاملة الخوارج.

والخوارج قد حكم فيهم النبي ﷺ رغم ما هم عليه من صفات ظاهرها الخير، وما جرى على أيديهم من آثار ظاهرها الصلاح؛ قال الآجري - رحمه الله – (ت ٣٦٠ ه): " لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذر الله عز وجل منهم، وحذرنا رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم "[3].

---

(١) مسائل الإمام أحمد لأبي داوود بسند صحيح (رقم ١٧٤٩) باب الجهمية (ص ٣٦٢).
(٢) هدي الساري (ص ٤٨٣)، وانظر الإصابة؛ ترجمة عمران بن حطان.
(٣) الشريعة للآجري (ص ٢١).

إن نسبة كبيرة من هؤلاء الأحزاب هي الأرضية التي انطلقت منها تلك التنظيمات التكفيرية كالقاعدة وداعش، وهم العباءة التي يتستر تحتها أفراخ تلك التنظيمات؛ فالتنظيمات السرية الدينية ذات الأهداف السياسية هي المحضن الدافيء للخوارج، وما حصل في بلاد المسلمين من تكفير وتفجير وتقتيل هو على يد هؤلاء، وهذه هي أعمال الخوارج وهذي معتقداتهم، وهل ننتظرهم أن يسموا أنفسهم خوارج ؟ لم يحصل هذا على مر التاريخ أن سمى الخوارج أنفسهم خوارج، وإنما يتحزبون تحت عناوين وشعارات أخرى؛ كالحرورية والأزارقة !!!

وهؤلاء الحزبيون يفسرون القرآن بفهمهم وآرائهم وأهوائهم؛ لا سيما نصوص الوعيد، حيث غلطوا في فهمها؛ فهم ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم، ويدّعون اتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن.

فهؤلاء الذين تربوا في محاضن التيارات الحزبية تجدهم يتصدون لعظائم الأمور؛ كالجهاد والفتن ومسائل التكفير ومفارقة الجماعة، فيحكمون ويُفتون فيها باسم الدين، ويُوجّهون الناس ويحثونهم ويحرّضونهم على ما يفتون ويحكمون به، وإذا سألوهم عن مسائل الدين الأخرى؛ كالطهارة والصلاة والحج، قالوا: اسألوا أهل العلم، يا عجباً مسائل الدين العظيمة يتصدون لها ويهجمون عليها ويخوضون فيها، ويُوجهون الناس إلى الراسخين في العلم في مسائل الطهارة والحيض والصيام والحج.

تجدهم مثل غيرهم من المبتدعة يرددون أحاديث معينة؛ يشب عليها صغيرهم ويشيب كبيرهم؛ كحديث تقسيم الزمان إلى نبوة ثم خلافة راشدة ثم ملكاً عاضاً ثم ملكاً جبرياً.....الحديث[(1)].

وأمثاله، هذا علمهم؛ وهذا مثل ترديد الرافضة لحديث غدير خم[(2)].

يقولون نحن نخبركم هل المجتمعات لا زالت مسلمة أم لا ؟ ونخبركم هل حكام

---

(1) أخرجه أبوداود (رقم ٤٦٤٦) والترمذي (٢ / ٣٥) وأحمد (٥/ ٢٢٠-٢٢١) والحاكم (٣/ ٧١و١٤٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢).

(2) أخرجه أحمد (رقم ١٩٣٠٢)، والنسائي في السنن الكبرى (رقم ٨٤٢٤)، وابن حبان (رقم ٦٩٣١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٥٠).

المسلمين لازالوا مسلمين أو لا ؟ ونخبركم كيف يكون السمع والطاعة للحكام، ونخبركم كيف يكون الاعتصام بجماعة المسلمين، ومتى يكون المسلم مفارقاً للجماعة، ونخبركم متى يتعين الجهاد ومقاتلة الكفار، وما ضوابط الجهاد الشرعي.

ويحثون ويحرضون على الجهاد في أفغانستان وفي الشيشان وفي الفلوجة وفي سوريا وغيرها، وأن ذلك هو الجهاد الشرعي.

لا بد أن يجد هؤلاء الحزبيون على أرض الواقع سبباً أو مسوِّغاً لخروجهم، بعد أن مهدوا له، وتحزبوا عليه، وائتلفوا في خدمته؛ فالغالب أنهم يخرجون عقب الفتن الكبار، بعد أن تتبعوا أخطاء الحكام وهيّجوا العوام عليهم، وطعنوا فيهم وكفروهم، وهذه تمثل المرحلة الفعليّة العمليّة الأخيرة عندهم؛ فهم يوقّتون لخروجهم – زماناً ومكاناً – على أرضية جهادية – زعموا – بعناصر خروج متزاوجة !

والمتتبع لبدعة هؤلاء الحزبيين يلحظ أنه لم يكن عندهم كتب مصنّفة في أصول بدعتهم وتفريعاتها، بل تبقى فكرتهم قائمة في عقولهم يُنظّرونها ويُؤصّلونها على أساس بدعي حركي فكري، مما يخدم بدعتهم في الانعزال الشعوري عن المجتمع المسلم، وتفريق الأمة وتكفير المسلمين، ولهذا يصعب تمييزهم في بداية ظهورهم حتى تكون لهم الأرضية التي ينطلقون منها لتحقيق بدعتهم.

المبحث الثاني
منشأ غلط أهل التحزّب واغترار العامة بهم

يمكن رصد تلك الأسباب التي هي منشأ الغلط عندهم، و – في الوقت نفسه – هي مسوّغات إمضاء بدعتهم إلى الناس، وتسويقها على العامة، والاغترار بهم.

١ - الورع الفاسد الناتج عن قلة العلم:

يتورّعون عن أمور معينة مباحة، وبالمقابل يتركون أموراً واجبة، ومنهم من يفعل أموراً مشتبهة فاسدة هي من جنس الظنون الكاذبة، ويعدون ذلك من قبيل الورع بسبب نقص علمهم وفقههم، حتى يجعلون ذلك طريقةً متبوعةً، يضاهون الشريعة فيها.

ولما تورّع الخوارجُ تورعاً فاسداً من جهة تعظيم أمر الظلم والمعاصي، وأن الله تعالى صادق ليس بكاذب فيما أخبر من أحكام بنصوص الوعيد، وتركوا بالمقابل واجب الطاعة للرسول ﷺ، وتحكيم سنته في مسائل الأسماء والأحكام، ووجوب بذل الرحمة لأهل الإيمان؛ وقعوا في بدعتهم المغلظة، التي كانت سبباً في تنصيص النبي ﷺ على ذمهم والأمر بقتالهم...

وعن هذا المزلق الخطير قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: " هذا الورع قد أوقع صاحبه في البدع الكبار؛ فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلماً من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار، من الجمعة والجماعة؛ والحج والجهاد؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليها الأئمة؛ كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة "(١).

ثم بيّن – رحمه الله – أن هذا الورع الفاسد لا يصح إلا بعلم كثير، وفقه متين؛ فقال: " لهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة، والفقه في الدين، وإلا فقد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٤٠).

يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه؛ كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم "(١).

والورع المشروع – الذي غلط فيه الخوارج وانحرفوا عنه لا بد أن يكون في فعل الواجبات وترك المحرمات أولاً، ولا بد أن يكون صاحبه موافقاً للسنة ثانياً، وأن يكون في دائرة الخوف والرجاء ثالثاً، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: " مثال ذلك: أن الوعيدية من الخوارج وغيرهم فيما يُعظّمونه من أمر المعاصي والنهي عنها، واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا، لكن إنما أُتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة، وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن إن كان ذا كبيرة "(٢).

٢ – **التلازم بين الخطأ والإثم:**

أنهم غلطوا في فهم نصوص الوعيد، فجعلوا الإثم وموجبات الوعيد لازمة للخطأ لا تنفك عنه بأي حال؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " أهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين... ومن هذا الباب تولد كثير من فرق أهل البدع والضلال. فطائفة سبّت السلف ولعنتهم؛ لاعتقادهم أنهم فعلوا ذنوباً، وأن من فعلها يستحق اللعنة؛ بل قد يُفسّقونهم أو يُكفّرونهم، كما فعلت الخوارج الذين كفروا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، ومن تولاهما، ولعنوهم وسبوهم، واستحلوا قتالهم..."(٣).

٣ – **الغلط في فهم نصوص الشرع ومقاصدها:**

ومنها نصوص الوعيد، ونصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يتفرع من مسائل الخروج على الأئمة وقتالهم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصد شرعي له ضوابطه وحدوده ووسائله، وهؤلاء المتحزبون – بسبب إعراضهم عن السنة – جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، بل جهلوا وسائل الأمر والنهي وما يصلح لهما وما لا يصلح؛ فكان خطؤهم في الوسيلة والمقصد؛

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله عند الكلام على أغلاط الناس في الأمر

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٤١-١٤٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١١٠-١١١).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٩-٧٠).

بالمعروف والنهي عن المنكر -: " الفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً؛ من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر... فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتد في حدوده؛ كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وغيرهم ممن غلط فيما أنه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فساده أعظم من صلاحه؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة؛ ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال: " أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم " وقد بسطنا القول في ذلك في غير هذا الموضع "(١).

٤ - الغلط في الدليل والمدلول:

تبنى الحزبيون رأياً واعتقدوا صحته ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وسلكوا في سبيل ذلك طريقين: إما بسلب ما دل عليه القرآن، وإما بحمله على ما لم يدل عليه؛ فكان خطؤهم في ما اعتقدوه من المعاني الباطلة، وفي طريقة استدلالهم لتقرير تلك المعاني؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " الذين أخطأوا في الدليل والمدلول - مثل طوائف من أهل البدع - اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط، الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن؛ فتأولوه على آرائهم؛ تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، ومن هؤلاء فرق الخوارج، والرافضة، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم "(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٦).

المبحث الثالث
مسوغات الحزبيين ومستنداتهم

كان مما استند إليه هؤلاء الحزبيون في تسويغهم للحزبية وتمسكهم بها: " مَصْلَحَةِ الدَّعْوَةِ " وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ لَمْ يَجْعَلِ فِيْمَا حَرَّمَ مَصْلَحَةً؛ فَالتَّحَزُّبُ وَالتَّفَرُّقُ مما نهى الله عز وجل عنه، وحذّر منه فِي كِتَابِهِ وعلى لسان نبيِّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَنْصُرَ دِيْنَهُ بِمَا حَذّر منه ونهى عنه؛ قَالَ الله تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ﴾ سورَةُ الأنعام (١٥٩).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ – رحمه الله – (ت ٦٧١ ه) فِي تَفْسِيْرِهِ: " معنى (شيعاً) فرقاً وأحزاباً؛ وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع "(١).

وقال الشيخ محمد ابن عثيمين – رحمه الله – (١٤٢١ ه): " لا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به، بل ما حث الله عليه في قوله: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوْنِ ﴾ ولا سيما حينما ننظر إلى آثار هذا التفرق والتحزب، حيث كان كل حزب وكل فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسب والتفسيق، وربما بما هو أعظم من ذلك"(٢).

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مُنِيْبِيْنَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيْمُوْا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ مِنَ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ ﴾ سُوْرَةُ الرُّوْمِ (٣١ – ٣٢)

وَقَالَ ﷺ: " لَا حِلْفَ فِي الإسلام "(٣).

وَقد ذَكَرَ الإِمَامُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١ ه) في العِلل ومعرفةِ الرِّجَالِ عن الحسن (ت ١١٠هـ) قال: شَهِدتُهُم يَوْمَ تَرَامَوا بِالحَصَى فِي أَمرِ عُثْمَانَ، حَتَّى جَعَلتُ أَنظُرُ فَمَا أَرَى أَدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الرَّهَجِ (أي من الغبار) فَسَمِعتُ كَلَامَ امرَأَةٍ مِن بَعضِ الحُجَرِ، قِيلَ هَذِهِ أُمّ

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١١٦).
(٢) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (ص ١٣١).
(٣) أخرجه مسلم (برقم ٤٦٠٢) وأبوداود (برقم ٢٥٤٠).

المُؤْمِنِينَ، فَسَمِعتُها تَقُولُ " إِنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قَد بَرِيءَ مِمَن فَرَّقَ دِينَهُ واحْتَزَبَ " قالَ عبدُ الله بنُ الإمام أحمدَ: هِيَ أُمُّ سَلَمَةَ "(١)

وَلَمْ يَجْعَلْ فِي مُخَالَفَةِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ نَصراً لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ إِنَّ مُخَالَفَةَ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْوَبَالِ وَالشُّؤْمِ، فَمَصْلَحَةُ الدَّعْوَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي لُزُومِ شَرْعِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ.

فَالشَّرْعُ كَمَا ضَبَطَ الْغَايَةَ ضَبَطَ الْوَسِيلَةَ - أَيضاً - وقد قال الشيخ محمد ابن عثيمين - رحمه الله -: " وقولُ بعضهم: إِنَّهُ لا يمكنُ للدعوةِ أن تقوى وتنتشرَ إِلَّا إِذَا كانت تحتَ حزبٍ !! نقولُ: إِنَّ هَذَا الكلامَ غيرُ صحيحٍ،بل إِنَّ الدعوةَ تقوى وتنتشرُ كُلَّما كانَ الإنسانُ أشدَّ تمسُّكاً بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وأكثرَ اتباعاً لآثارِ النَّبي ﷺ وخلفائِهِ الراشدينَ"(٢).

وهؤلاء المتحزبون من الإسلاميين حين رأوا الاشتراكيين والعلمانيين والشيوعيين يشكلون أحزاباً سياسية في بعض الدول، ويصلون عن طريقها إلى الحكم، ثم يفرضون على الناس قناعاتهم وفلسفتهم الخاصة، قالوا: لم لا نفعل مثلهم ؟ فهم يعتقدون الشيء أولاً، ثمَّ يذهبُوا ليبحثَوا عن دليلٍ عَلَى صِحَةِ ما اعتقدوا، وهذهِ طريقةُ أصحابِ البدعِ حيث يَلوونَ أعناقَ النُّصوصِ حتى يَجعلُوها توافقُ أهواهُم، أمَّا أهلُ السُّنَّةِ فَيَدِينونَ للهِ ويَخضعُونَ للوحيِ المنزَّلِ من عندِ اللهِ، فينظرونَ أولاً في الدَّليلِ (القرآن والسنة) ثُمَّ يَعتقدونَ ما دلَّهم عليهِ الدَّليلُ.

فلسنا بحاجة في بلاد الإسلام إلى تحزّب، بل وجود الحاكم المؤمن الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والذي يقيم الصلاة، هذا كافٍ أن يُجتمَع حوله فيؤيِّد ما عنده من خير، ويناصح فيما عنده من نقص.

أما أن تقام الأحزاب فليس ذلك من شرع الله، بل ثبت بالإسناد الصحيح " أن عثمان - رضي الله عنه - خطب يوم الجمعة فترافعت الأصواتُ في المسجد وتراموا بالبطحاء - قال الحسن البصري - رحمه الله -: فجعلت ما أبصر أديم السماء من فعلهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢ / ٣٥٩٧)، وابن المديني في اللطائف (١٠٢)، وحسنه بعض أهل العلم: المطالب العالية (٤٣٩٠).

(٢) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (ص ١٣١).

هذا؛ وذلك للاختلاف على عثمان - رضي الله عنه - ممن حضر من الأمصار من أهل الانحراف والضلال ممن تأثروا بابن سبأ وغيره، فنظروا إلى عثمان نظرات باطلة، وزعموا أنه لا يقسم الثروة صحيحا، وزعموا أنه يدني أقاربه، يقول الحسن البصري: فتراموا بالبطحاء فجعلت ما أنظر أديم السماء فسمعنا صوتا من بعض حُجَرِ أزواج النبي - ﷺ - قيل لعلها أنها أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - تقول: ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحتزب، ثم تلا قول الله - عز وجل - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ ﴾ (الآية ١٥٩ من سورة الأنعام)"[1].

(١) انظر: اتحاف الخيرة للبوصيري (رقم ٧٦٧٠) و (٥٧٠٠) والدر المنثور (٣/ ١١٨) وسبق تخريج الحديث بأوسع من هذا.

المبحث الرابع
مساوئ التحزب وأضراره

لا ينحصر ضرر بدعة التحزب في دائرة الاعتقاد النظري؛ بل يتعدى ذلك إلى واقع عملي يعكس لوازم هذه البدعة وتطبيقاتها العملية على واقع الأمة، ويمكن إجمال هذه اللوازم المتولدة عن بدعة التحزب بما يأتي:

١ - شُيوعُ روحُ البغضِ والكراهيةِ بينَ المسلمينَ؛ فيَبعُدُونَ بذلكَ عَن حقيقةِ الإيمانِ، كَمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا... "(١).

قال النووي – رحمه الله -: " معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب" (٢) فتحزب بعض المسلمين تحت أي شعار غير شعار الإسلام يؤدي إلى أن يبغض المسلمون بعضهم بعضاً ويذمونهم ويلعنونهم، وربما أدى ذلك إلى تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وهذا ما يشهد به الواقع؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: " لا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه "(٣).

٢ - ضَعفُ الأُمَّةِ؛ وذلكَ لَمَّا يقعُ بينَ المسلمينَ من التَّنَازُعِ والتَّفرُّقِ فتذهبُ ريحُ الأُمَّةِ هَبَاءً مَنْثُوراً، فتقوم هذه الأحزاب بمنازعة الولاة والحكام، والخروج على أئمة الهدى وجماعة المسلمين وولاة أمورهم بالسيف، فيتتبعون أخطاء الحكام ويهيجون العامة عليهم، ثم يطعنون فيهم ويكفرونهم، وهذا اللازم من أخطر ما يتولد من

(١) أخرجه مسلمٌ برقم (٥٤).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢٢٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٠).

هذه البدعة؛ لما يحصل بسببه من فساد الدين والدنيا.

أو تضعف الأمة بسبب ما يحصل من تنازع وتناحر هذه الأحزاب فيما بينها، وقد قالَ تَعالَى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الآية ٤٦ من سورة الأنفال).

٣ - عقدُ الولاءِ والبراءِ على الحزبية؛ حيثُ يُوَالِي كلُّ متبع لحزبٍ أو جماعة حزبه أو جماعته ويبرأ مما عَدَاهَا، وقد قالَ الله تعالَى ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الحج آية ٧٨) وقالَ ﷺ: " وَلَكِنْ تَسَمَّوْا بِاسْمِ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ عِبَادَ اللهِ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ "(١).

وجَاءَ رجلٌ إلى الإمام مالكٍ - رحمه الله - (ت ١٧٩ ه) فقالَ: يا أبَا عبدِ الله أسألُكَ عن مسألةٍ أجعلُكَ حجةً فيما بيني وبينَ الله عزَّ وجلَّ، قالَ مالكٌ: مَا شاءَ اللهُ لا قوةَ إلاّ بالله، سَل، قالَ: مَنْ أهلُ السنَّةِ ؟ قالَ: " أهلُ السنَّةِ الذينَ ليسَ لهم لقبٌ يُعرفونَ بهِ، لا جهميٌّ، ولا قدريٌّ، ولا رافضي "(٢).

وقالَ ميمونُ بنُ مهرانٍ - رحمه الله - (ت ١١٧ ه) " إيَّاكُم وكلَّ اسمٍ يُسمَّى بغيرِ الإسلام "(٣).

وقالَ مالكُ بنُ مغولٍ (ت ١٥٧ ه): إذا تَسمَّى الرجلُ بغيرِ الإسلام والسنَّةِ، فألحقهُ بأيِّ دينٍ شئتَ(٤).

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةٍ - رحمهُ اللهُ - " الواجبُ عَلَى المسلمِ إذَا سُئِلَ عَن ذلكَ أن يقولَ: لا أنا شَكيليٌّ، ولا قَرفنديٌّ؛ بَل أنَا مسلمٌ مُتَّبِعٌ لكتابِ الله وسنةِ رسولِهِ.. والله تعالى قد سمَّانا في القرآن: المسلمين، المؤمنين، عباد الله؛ فلا نعدلُ عن الاسماءِ التي سمَّانَا اللهُ بِهَا إلى أسماءٍ أحدثَهَا قومٌ - وسَمُّوهَا هُم وآباؤهُم - ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ "(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (برقم ٢٢٤٠٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع / ١٧٢٤).

(٢) الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٥).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١ / ٩٢) و الإبانة الصغرى لابن بطة (ص ١٣٧) والكبرى (١ / ٣٤٢ - ٣٤٥).

(٤) الإبانة الصغرى لابن بطة (ص ١٣٧) والكبرى (١ / ٣٤٢-٣٤٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٤١٥).

فالواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ويبدو والله أعلم أن هذه المُسمَّيات لجماعات ظهرت في زمن الشيخ تُسمى بأسماء مؤسسها، أو غير ذلك كالمسمَّيات الموجود في زماننا: تبليغي، إخواني، قطبي، جامي، أو هي من أسماء طرق الصوفية.
فينبغي للمسلم أن يكون انتسابه للإسلام، وأن يجتمع المسلمون تحت لواء واحد، يقول: أنا من أهل السُنَّة والجماعة، أنا مسلم؛ إذا قيل مثل ما هو موجود في هذا العصر: هذا يسمى إخوانيا، وهذا يسمى تبليغياً، وهذا يسمى كذا، كل هذه الأسماء مفرقة، الواجب على المسلم اتباع الكتاب والسُنَّة، وأن ينضووا تحت الإسلام، يقول: أنا مسلم، أنا متبع للكتاب والسُنَّة.
ولما حصل خلاف في بعض الغزوات، حين كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، نادى الأنصاري: يا للأنصار، ونادى المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فلما تنادوا بما يفيد التفرقة، هذا قال: يا للمهاجرين، وهذا قال: يا للأنصار، غضب النبي - ﷺ - وقال: " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ "(١).
وهما اسمان إسلاميان؛ ورد ذكرهما في القرآن، ولكن لأن في عملهم هذا تحزبا،، فالمهاجرون: المؤمنون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وتركوا أموالهم وديارهم، والأنصار الذين آووا المهاجرين ونصروهم، وهما اسمان اسلاميان، لكن لما كان فيه تحزب قال النبي - ﷺ-: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! دعوها فإنها منتنة أي: لا تتحزبوا، اجتمعوا.
لماذا هذا ينادي المهاجرين وهذا ينادي الأنصار؟ فيه تحزب وفيه تفرقة، فإذا كان النبي - ﷺ - قال عن اسمين إسلاميين: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، فكيف بغيرها من أسماء، كيف يتفرق المسلمون: أنت إخواني، أنت تبليغي، أنت سروري... وهكذا، فكل اسم غير الإسلام يتحزب أحد من المسلمين تحته يوالون عليه، ويتناصرون فيما بينهم فهو من دعوى الجاهلية.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٩٠٥) ومسلم (رقم ٢٥٨٤).

ومعنى كسع " أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك "(1).

فَلا ينبغى أبداً أن ينحَازَ المسلمُ لاسم غيرَ الإسلام، ولا يجتزىءُ جُزءاً من الإسلام فيُصَيِّرُهُ هو الإسلام كلّه، وكذلكَ لاَ يتخذُ فرقةً ولا جماعةً ولا حزباً فيجعلُه بدل المسلمينَ فينتقلُ منَ واسَعِ الإسلام إلى ضيقِ التحزبِ. ولا شَكَّ أنَّ ذلكَ ضِربٌ عظيمٌ من ضُرُوبِ العصبيةِ التى تَظافرت النصوصُ الشرعية على نبذِهَا ومحوِهَا من سِجلِ المسلمينَ، وعدها من أعمال الجاهلية قَالَ - ﷺ -: " مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ "(2)، وقال: " ليس منا من دعا إلي عصبيةٍ، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبيةٍ "(3).

٤ - نُفُورُ النّاسِ من الدِّينِ؛ حيثُ يَرَى النَّاسُ أهلَ الدِّينِ في وجهةِ نظرِهم يتَخاصَمُونَ ويَتَنَاحَرُونَ فينفرُ النَّاس من الدِّينِ بالكليةِ، وما ذلكَ إلّا من شؤمِ الابتداع والتعصب لغير الحق، ومعصيةِ الرَّسُولِ ﷺ.

٥ - أنهم يعادون كل من لا يتحزب معهم ويلتزم ببدعتهم، وهذا قدر مشترك في كل مخالف للسنة، مبتدع صاحب هوى، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله؛ فيتبعون الحق، ويرحمون الخلق، ويعذر بعضهم بعضاً عند الاختلاف؛ قال ابن القيم - رحمه الله - (ت ٧٥١ هـ): " وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إراداتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لابد منه في النشأة الإنسانية "(4).

واختلاف المذاهب الفقهية لا يعد فرقة وتحزباً، لأن أتباع المذهب الفقهي لا

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٨٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (رقم ٥١٢١) في كتاب الأدب، باب في العصبية، قال المنذري لم يسمع عبدالله (يعني ابن أبي سليمان) من جبير، قال المناوي في فيض القدير ٥ / ٣٨٦ مراده أن الحديث منقطع، قلت هذا من جهة سنده، أما متنه فالشواهد التي تدل عليه كثيرة.

(٤) الصواعق المرسلة (٢ / ٥١٩).

يتعصبون لإمامهم ويتحزبون تحت مذهبه؛ يوالون ويعادون فيه، ويتناصرون فيما بينهم دون غيرهم من المسلمين.

ولأن خلافهم من قبيل الاجتهاد السائغ الخطأ فيه مغفور لصاحبه، وليس من قبيل اجتهاد أهل الأهواء، ذلك الاجتهاد الذي يوقعهم في الأخطاء المغلظة التي ترجع بأصولها إلى أهل البدع والأهواء؛ خاصة فيما يتعلق ببدعة تفريق الأمة وتحزيبها، وتكفير المسلمين، واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم وديارهم.

ولأن الصحابة – رضي الله عنهم – ومن بعدهم اختلفوا في جملة من أحكام الدين ولم يتفرقوا، لأنهم اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد، ولم يكن اجتهادهم داعيا للتفرق والتحزب.

٦ – أن التَّحَزُّبَ عَقَبةٌ في طريقِ الوصولِ إلى الحقِّ والهُدَى؛ حيثُ يقعُ المتحزبُ في آفةِ (التأثرِ بالفكرةِ الجماعيةِ الخاطئةِ) فيصيرُ كأنَّما أصبحَ تُرساً في آلةٍ لا يستطيعُ الانفكاكَ عنها، وقد قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ/ ٤٦) فالتَّفكُّرُ في الحقِّ باتباع الدليلِ بعيداً عن (فلسفةِ القطيعِ) هوَ ما يَعِظُ بِهِ ربُّنا تباركَ وتعَالى الباحثَ عنِ الحَقِّ.

٧ – فكرة العزلة الشعورية عند تلك الأحزاب والجماعات للتنفير من الإيجابية في المجتمع، فيقولون: هذا مجتمع فاسد جاهلي، فعِشْ في عزلة شعورية في داخلك، لست منهم لكن عامِلْهم، لكن كُن شعوريًّا منعزلا، يعني لا تشعر بانتماء لهم، انتماؤك إنما هو لحزبك وجماعتك الخاصة، بل ربما هاجروا إلى ديار الكفار واستوطنوها، وذلك لأمرين؛ الأول: أنهم لا يصبرون على جور الحكام في بلاد المسلمين، الثاني: أنهم يستحلون بلاد الإسلام أكثر من استحلالهم بلاد الكفار.

٨ – أن كل الانتماءات عندهم مرفوضة إلا الانتماء الوحيد لحزبه وجماعته، وهذه قضية في غاية الخطورة في التربية وفي الدعوة وفي التأثير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " لا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما

قال السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه " أ.ه"[1].

وما من نبي إلا وأرسله الله جل وعلا الى قومه ليبين لهم، وقد ذكر الله عز وجل قصص الأنبياء مع قومهم أو أقوامهم بذكر الأخُوّة.. ﴿ وإلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (سورة الأعراف الآية ٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ (سورة الأعراف الآية رقم ٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (سورة الأعراف الآية رقم ٨٥)

هذه الأخوة ليست أخوة نسب، ولا أخوة قبيلة، بل أخوة بلد، والبلد فيها أكثر من قبيلة، فهم كانوا إخوة لهم في وطنهم، وهذه الأخوة ذكرها الله جل وعلا فقال: ﴿ أَخَاهُمْ ﴾ ولم يقل: "إخوانه "، بل هو أخوهم، هو المنتمي إليهم انتماء الأخ لإخوته.

وهذا أحد عناصر وعوامل قوة التأثير في البداية، فالذي يريد أن يؤثر في قوم لا بد أن يكون منهم وفيهم.

٩ – تميز الحلفاء عن سائر المسلمين يجعل لهم حقوقًا ليست للمسلمين، هذا إذا لم يكن تحالف البعض نكاية في البعض الآخر، فإن مجرد التميز بمحالفة خاصة يضع غير الحليف في مكان أدنى من الحليف، والواجب الضروري المساواة بين المسلمين في العقد العام على الإسلام، لا يجوز أن يتحالف بعض المسلمين دون بعضهم الآخر، والتحالف والبيعة لأحزاب بعينها مصادم لظاهر حديث: " لا حلف في الإسلام"[2].

ولذا فقد أعدت وزارة التعليم برنامج (حصانة) وعممته على جميع إدارات التعليم، والبرنامج يهدف إلى نشر الوعي عند الطلاب ضد: الليبرالية والعلمانية والغلو والحزبية والطائفية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٤٦٠٢) وأبوداود (برقم ٢٥٤٠).

المبحث الخامس

موقف العلماء الربانيين من الجماعات والأحزاب

بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ عَلَى حُرْمَةِ التَحَزُبِ وَالتَّفَرُقِ فِى الدِّينِ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ الرَّبَانِيينَ فِى كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يُحَذِّرُونَ مِنَ التَحَزُبِ، وَيُحَارِبُونَ التَّحَزُبَ وَالتَّفَرُّقَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ فَشِلٍ و تَنَازُعِ الأُمَمِ وَذَهَابِ رِيحِهَا؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة الأنفال الآية رقم ٤٦).

وَإِلَيْكَ بَعْضَ هَذِهِ الْفَتَاوَى:

فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (ت ١٤٢٠ ه) المفتى العام للمملكة العربية السعودية آنذاك وقد سُئل عن حكم تعدد الجماعات والأحزاب فى الإسلام، وما حكم الإنتماء إليها ؟

قال – رحمه الله -: " إن نبينا محمداً ﷺ بين لنا درباً واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه، وهو صراط الله المستقيم، ومَنهج دينه القويم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآية رقم ١٥٣) فالواجبُ عَلَى عُلماءِ المسلمينَ: توضيحُ الحقيقةِ، ومناقشةُ كلِّ جماعةٍ، ونُصحُ الجميعِ بأن يَسِيرُوا فِى الخطِ الذى رَسَمَهُ اللهُ لعبادِهِ، ودَعَا إليهِ نبيُّنَا محمدٌ ﷺ، ومن تجاوزَ هَذَا واستمرَّ فى عنادِهِ،فإنَّ الواجبَ التشهيرُ به، والتحذيرُ منهُ، ممن عرفَ الحقيقةَ حتَّى يتجنبَ النَّاسُ طريقَهم، وحتَّى لا يدخلَ معهم من لا يعرفُ حقيقةَ أمرِهم، فَيُضِلوهُ ويَصرِفُوهُ عن الطريقِ المستقيمِ الذى أَمَرَنَا اللهُ باتباعِهِ....

ولا شكَّ أنَّ كثرةَ الفرقِ والجماعاتِ فى البلدِ المسلمِ مما يحرصُ عليهِ الشيطانُ أولاً، وأعداءُ الإسلام ثانياً "[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٢٠٢٢٠٤).

وقَالَ الشَّيْخُ محمد ابنُ عُثَيمِينَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: " لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يُبِيحُ تَعَدُّدَ الْجَمَاعَاتِ وَالأَحْزَابِ، بَلْ إِنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذَمّاً لِذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة الْمُؤْمِنُوْن الآية رقم ٥٣).

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعَدُّدَ هَذِهِ الأَحْزَابِ يُنَافِي مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، بَلْ مَا حَثَّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْنِ ﴾ (سورة الأَنْبِيَاء الآية رقم ٩٢) "(١).

وَلِلشَّيْخِ الْمُحَدِّثِ مُحَمَّد نَاصِرِ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - (ت ١٤٢٠ هـ) فَتْوَى مُمَاثِلَة قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: " لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَارِفٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ أَنَّ التَّحَزُّبَ وَالتَّكَتُّلَ فِي جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةِ الْمَنَاهِجِ وَالأَسَالِيْب لَيْسَ مِنَ الإسلام فِي شَيْءٍ، بَلْ ذَلِكَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ رَبُّنَا عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَكْثَر مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ "(٢).

وَلِلشَّيْخ د. صَالِح الفَوْزَانِ (عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ) فَتوى مُمَاثِلَة يَقُولُ: " التَّفَرُّقُ لَيْسَ مِنَ الدِّيْنِ، لِأَنَّ الدِّيْنَ أَمَرَنَا بِالاِجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُوْنَ جَمَاعَةً وَاحِدَةً وَأُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ وَعَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: " وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوا " (سُوْرَةُ آلِ عِمْرَانَ ١٠٣) "(٣).

وقال - أيضاً -: " يجب بيان خطر التحزب وخطر الانقسام والتفرق ليكون الناس على بصيرة لأنه حتى العوام الآن انخدعوا ببعض الجماعات يظنون أنها على الحق، فلا بد أن نبين للناس المتعلمين والعوام خطر الأحزاب والفرق لأنهم إذا سكتوا قال الناس: العلماء كانوا عارفين عن هذا وساكتين عليه، فيدخل الضلال من هذا الباب، فلا بد من البيان عندما تحدث مثل هذه الأمور، والخطر على العوام أكثر من الخطر على المتعلمين، لأن العوام مع سكوت العلماء يظنون أن هذا هو الصحيح وهذا هو الحق "(٤).

---

(١) الصَّحْوَةِ الإسلاميَّة ضَوابط وتَوْجِيْهَات (ص ١٣١).
(٢) فَتَاوَى الشَّيْخ الأَلْبَانِيّ لِعُكَّاشَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَنَّان (ص ١٠٦).
(٣) مُرَاجَعَات فِي فِقْهِ الْوَاقِعِ عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (ص ٤٤-٤٥).
(٤) الأجوبة المفيدة (ص ٦٨).

وأكد الشَّيْخ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ – رَحِمَهُ اللهُ – عُضْو هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ – هذا الحكم، وأكد على خطورةِ التَّحَزُّبِ والتَّفَرُّقِ فقالَ: " والجماعاتُ إن استشرَى تَعَدُّدُهَا في جزيرةِ العربِ،فهوَ خَطَرٌ دَاهِمٌ يهددُ واقعَها، ويهدمُ مستقبلَهَا...ويجعلُها مجمعَ صراعٍ فكريٍ وعقدي وسلوكي " وقالَ – أيضاً -: " فواجبٌ والله تنظيفُ هذه الجزيرةَ من تلكم المناهجِ الفكريةِ المبتدعةِ، والأهواءِ الضَّالةِ، وأن تبقَى عنوانَ نصرةٍ للكتابِ والسنَّةِ والسيرِ على هَدْى سلفِ الأُمَّةِ، حَرباً للبدعِ والأهواءِ المضلةِ "(١).

(١) خصائص جزيرة العرب (ص ٨٥)، وحكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية (ص ١٥٣).

المبحث السادس
آثار ونتائج التحزب في المجتمعات المسلمة

للأسف أن فكرة التحزب في جماعات إسلامية تحت شعار الدعوة إلى الله قد تربت عليها أجيال من أبناء المسلمين في البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية، والواقع أننا لا بد أن نتحدث بوضوح وصراحة وشفافية حتى يكون الموضوع مؤثراً، فواقع الطرح الإسلامي لدى كثير من الدعاة وكثير من الحركات الإسلامية وكثير من المهتمين بالشأن الإسلامي الذين فيهم اعتدال أنهم لم يولوا هذا الموضوع أهمية، بل قالوا: إن النقاش في هذا الموضوع يجب أن يُرحّل، فإذا فتح الآن أدى ذلك إلى التناحر والتشرذم والتقاتل، ونحن لدينا مشروع نسعى لتحقيقه، وإذا إنتظمنا في حزب كان ذلك أسرع لتحقيق أهداف ذلك المشروع وهو السعي لإقامة الخلافة الراشدة، فأمة المسلمين واحدة ولا نلتفت لهذه الحدود السياسية التي صنعها المستعمر، فإنه لا اهتمام بالوطن في الإسلام أصلا، وإنما الاهتمام بالوطن الإسلامي الكبير، أما الوطن الصغير فهذا أرض وتراب ولا يسوغ أن نهتم بأرض وتراب.

وهذه الفكرة مشت عليها أجيال في بلاد المسلمين، ونشأ عنها في تأثير اللاوعي عند المتلقِّي أنه لا فرق بين بلد وبلد، ولا فرق بين دولة ودولة، ولا فرق بين أناس وأناس، وهذا أنتج السلبية في المشاعر بأنه لا يحب بلده ولا يحب وطنه ولا يحب عشيرته ولا يحب دولته، ولا يحب من أمر الله بحبهم في جميع الوطن المحبة الشرعية المثمرة.

لذلك وجدنا في واقع الحال على مدى سنوات طويلة أن هناك مشكلةً لدى الشباب، هذه المشكلة في حقيقتها هي اعتقادهم أن الاهتمام بالوطن غير مطلوب، وصارت لديهم قناعة راسخة أن أحد الاهتمامين يلغي الآخر، يقول إن الإسلام قد جاء وانتشر، ولما انتشر صار هو وطن الإسلام الكبير، فيجب أن نهتم بالوطن الإسلامي الكبير.

كل هذا قد حصل وانتهى، وصار واقعًا والواقع يُغيَّر بالعلم، الشيء إذا صار فيه نقصُ فهمٍ، ونقصُ ثقافة وإدراكٍ، ونقص تأصيلٍ، فإنَّه يعالج بالتأصيل وبالعلم؛ لذلك

كان لزاما أن يُطرَق هذا الموضوع، حتى يكون مادة بحث لدى طلاب العلم، وموضوع حلقات نقاش، وعناوين مؤتمرات متخصصة.

عكس الانتماء: العزلة الشعورية، وفكرة العزلة الشعورية فكرة طرحت من بعض الحركات أو الجماعات الإسلامية أو بعض الفصائل للتنفير من الإيجابية في المجتمع، فيقولون: هذا مجتمع فاسد جاهلي، فعِش في عزلة شعورية في داخلك لست منهم لكن عامِلْهم، يعني ألا تشعر بانتماء لهم، انتماؤك إنما هو لجماعتك الخاصة، ولذا وجدنا من هؤلاء الشباب من يزهد في وطنه ومجتمعه، فيحتقر المجتمع كاملاً بعلمائه وحكامه وعامته، يحتقرهم في فكرهم وفي تدينهم وفي فهمهم، فهو منعزل شعورياً عن هذا المجتمع تماماً وإن كان مقيماً فيه، لذا ترى بعض هؤلاء الشباب في مجالسهم حين يؤدى المسلمون صلاة الاستسقاء ولا ينزل المطر، تجدهم يتضاحكون: لم ينزل مطر بل هبّت الرياح والعواصف والغبار والأتربة ! وكأنه ليس أحد أفراد هذا المجتمع، قد أدى الصلاة معهم لطلب السقيا من الله، هذا مثال واضح لوجود ذلك الشعور الإنعزالي، وهو متكرر للأسف في مناسبات مختلفة.

وهذا العزل الحركي والعزل الدعوي الذي هو في فئة قليلة متطرفة في العالم منذ عدة عقود هو الذي سبب وجود الأفكار التكفيرية والتفجيرية والغالية في كثير من شباب الأمة، المنتمين لتلك الجماعات، لذا فإنك لا تكاد تجد سلبية فيمن يشعر بالانتماء لوطنه وأهله.

والذي يعادي وطنه لا بد أن يكون عنده شعور بأنه أمة لوحده، فيعيش في عزلة شعورية حتى لو خالط الناس، وكل الانتماءات عنده مرفوضة إلا الانتماء الوحيد لفئته وجماعته، وهذه قضية في غاية الخطورة في التربية وفي الدعوة وفي التأثير.

ما من نبي إلا وأرسله الله جل وعلا بلسان قومه ليبين لهم، وقد ذكر الله – عز وجل – قصص الأنبياء مع قومهم بذكر الأُخُوّة.

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (سورة الأعراف الآية رقم: ٦٥).

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ (سورة الأعراف الآية رقم: ٧٣).

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (سورة الأعراف الآية رقم: ٨٥).

هذه الأخوة ليست أخوة نسب، ولا أخوة قبيلة، بل أخوة بلد، والبلد فيه أكثر من قبيلة، فهم كانوا إخوة لهم في وطنهم.

وهذه الأُخُوّة ذكرها الله جل وعلا بصيغة لافتة؛ فقال: ﴿ أخاهم ﴾ ولم يقل: "إخوانه " بل هو أخوهم، هو المنتمي إليهم انتماء الأخ لإخوانه.

وهذا أحد عناصر وعوامل قوة التأثير في البداية، فالذي يريد أن يؤثر في قوم لا بد أن يكون منهم وفيهم.

ومن ليس عنده هذا الشعور: الانتماء لدينه ثم الانتماء لبلده ثم الانتماء لناسه فلن يكون له التأثير المطلوب، فمن ينتمي لقوم: يحبهم ويخاف عليهم أن يقعوا في شيء من الإثم، يقول أحد الصالحين – رحمه الله -: " والله وددت أن لو الخلق أطاعوا الله وقُرض جسمي بالمقاريض " (1) يعني قُطع جسمه بالمقصات، وهذا لأنه بينه وبينهم صلة الإسلام، بينه وبينهم الانتماء العام، الذي هو في مثل: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣] وهو شعور الأخوة، الذي يتولد عنه شعور الشفقة، الذي يجعله يبذل الجهد ويضحي بنفسه لأجل أن ينقي النَّاس من الشرور، ويفتح لهم أبواب الخير، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في هذا المقام" : أئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى ﴾: كونوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة الآية رقم: ٨).

ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق "(2).

---

(1) حلية الأولياء (١٠/ ١٥٠)، المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣١٢).

(2) الرد على البكري (ص ٢٥٧).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فلله تمام الحمد والمنة أن يسر إكمال هذا البحث على هذا النحو الذي رضيته، حيث اجتهدت في لم شتاته وجمع أطرافه لإيصال أفكاره الواضحة ونتائجه المحددة للقارىء الكريم، فالحمد لله على توفيقه وإعانته، وأسأله سبحانه أن ينفع به، ويغفر ما قد حصل من زلل وتقصير، إنه جواد كريم، بر غفور رحيم.

وقد ظهر خلال دراستي له نتائج؛ أهمها:

١- أن ظهور التحزبات السياسية المعاصرة في العالم نشأ في المجتمعات الغربية بعد الثورة ضد الكنيسة، وأطلقوا لها الحرية الفكرية والفلسفية، فأي انسان من حقه أن يعتقد أي فكرة وينشأ له حزباً يدعو لهذه الفكرة، ويسعى للوصول إلى السلطة، ليقيم هذا المبدأ الفكري في الناس.

٢- أن فكرة الأحزاب السياسية الإسلامية وغير الإسلامية في بلاد المسلمين مرتبط بنشأة الحزب السياسي في العالم الغربي.

٣- أن أهل التحزب عللوا قيام هذه الأحزاب الإسلامية بعدة أسباب ومبررات، هي عبارة عن شبه تم دفعها، وبيان وجه الصواب فيها من قبل أهل العلم.

٤- أن التحزبات كلها شر، ومفاسدها وأضرارها على الفرد والأمة كثيرة، ومن خلال وجودها وترسخها في العالم الإسلامي اتضح مدى الضرر والفساد في الجوانب كافة؛ الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

٥- أن الحزبيين يعتقدون الشيء أولاً، ثم يذهبون ليبحثوا عن دليل على صحة ما اعتقدوه، فكان خطؤهم مركب من أمرين؛ أولاً: ما اعتقدوه من المعاني الباطلة، والثاني: طريقة استدلالهم لتقرير تلك المعاني.

ما أسلفت هي أهم النتائج التي توصلت إليها، وعرضتها بعبارة واضحة وموجزة، وفي الختام أثني بحمد الله وشكره الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

- الإبانة الصغرى (الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة) لابن بطة: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧ ه) ط الأولى مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٣ ه.
- الإبانة الكبرى لابن بطة: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧ ه) ط الثانية دار الراية ١٤١٥ ه.
- اتحاف الخيرة للبوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠ ه) ط الأولى ١٤١٩ ه دار الرشد.
- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للشيخ صالح الفوزان: ط الثالثة – الطائف عناية جمال بن فيحان الهميلي – دار المنهاج – مكتبة الأصالة الأثرية.
- الأحزاب السياسية في الإسلام للمبارك فوري: صفي الرحمن – دار سبيل المؤمنين – القاهرة – ط الأولى ١٤٣٣ ه.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ه) ط الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ ه.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ه) دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠١٠ م
- بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ ه) ط الأولى – المكتب الإسلامي ١٤١٨ ه.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي: محمد بن أحمد (ت ٦٧١ه) دار الكتب العلمية ١٤٠٨ه.
- حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات بكر أبو زيد: بكر بن عبدالله (ت ١٤٢٩ ه) دار الحرمين – القاهرة – ط الأولى ١٤٢٦ هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ه) دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٩ هـ.

- خصائص جزيرة العرب بكرأبوزيد: بكر بن عبدالله (ت ١٤٢٩ ه) ط الأولى ١٤٢٠ ه – الناشر وزارة الشؤون الإسلامية – الرياض.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ه) دار الفكر – بيروت – ٢٠١٠م.
- ديوان دريد بن الصمه – تحقيق د عمر عبد رب الرسول – دار المعارف – ط الأولى ١٩٨٠ م.
- الرد على البكري (الاستغاثة) لابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ه) ط الأولى – دار المنهاج – الرياض – ١٤٢٦ ه.
- السلسلة الصحيحة للألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠ه) ط الأولى – مكتبة المعارف – الرياض – ١٤١٥ ه.
- سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ه) المكتبة العصرية بيروت ٢٠١٠ م.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ه) دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٨ م.
- السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ه) ط الأولى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١ه.
- شرح صحيح مسلم للنووي: يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ه) ط الثانية – دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢ ه.
- الشريعة للآجري: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠ه) ط الثانية – دار الوطن – الرياض – ١٤٢٠ ه.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤ه) ط الثانية – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ ه.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ١٩٤ ه) ط الأولى – دار طوق النجاة – بيروت – ١٤٢٢ ه.
- صحيح الجامع للألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠ه) المكتب الإسلامي – بيروت – ٢٠١٠.

- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ه) دار احياء التراث العربي – بيروت – ٢٠١٠ م.
- الصحوة الإسلامية؛ ضوابط وتوجيهات لابن عثيمين: محمد بن صالح الوهبي التميمي (ت ١٤٢١ هـ) ط ١٤٣٣ ه - دار الوطن للنشر – الرياض.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ه) ط الأولى – دار العاصمة – الرياض – ١٤٠٨ ه.
- العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ه) ط الثانية – دار الخاني – الرياض – ١٤٢٢ ه.
- فتاوى الشيخ الألباني لعكاشة بن عبدالمنان: ط الأولى – مكتبة التراث الإسلامي – ١٤١٤ ه.
- فيض القدير للمناوي: محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١ه) ط الأولى – المكتبة التجارية بمصر – ١٣٥٦ ه.
- لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١ه) ط الثالثة – دار صادر – بيروت – ١٤١٤ ه.
- اللطائف من دقائق المعارف لابن المديني: محمد بن عمر الأصبهاني (ت ٥٨١ه) ط الأولى – دار الكتب العلمية – ١٤٢٠ ه.
- المجالسة وجواهر العلم أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣هـ) جمعية التراث الإسلامي – البحرين – ١٤١٩ هـ.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ هـ) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ١٤١٦ هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز: عبدالعزيز بن عبدالله (ت ١٤٢٠ هـ) دار القاسم للنشر – ١٤٢٠ هـ.
- مراجعات في فقه الواقع: عبد الله محمد الرفاعي، مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة، الرياض، دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٤ هـ.
- مسائل الإمام أحمد لأبي داوود: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) ط الأولى – مكتبة ابن تيمية – تحقيق طارق بن عوض الله – عام ١٤٢٠ هـ.

- المستدرك للحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ط الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ ه.
- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ه) ط الأولى – مؤسسة الرسالة – ١٤٢١ هـ.
- المطالب العالية لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ه) ط الأولى – دار العاصمة – السعودية – ١٤١٩ هـ.
- هدي الساري لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ ه) دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩ هـ.